

كلمة البروفسور رينيه شاموسي اليسوعي، رئيس جامعة القديس يوسف بمناسبة الممارسات
المبتكرة في التعليم في جامعة القديس يوسف

11 شباط 2011

منذ عشر سنوات، أشار عالم اجتماع حريص على فهم العلاقات المعقدة التي تربط ما بين الطلاب والأساتذة إلى أن: "عتب الطلاب على الأساتذة هو التالي: تعتبرون أننا آلات تدون الملاحظات وتحفظ المعلومات وتسمّعها وليس أفراداً يرغبون في أن يفهموا وفي أن يجدوا معنى لكل ما يتعلمونه. لسنا بالآلات بل نحن أفراداً يبحثون عن المعنى". واعتبر الجامعي نفسه أنه لا ينبغي تعليق أهمية كبيرة على فكرة أن الطالب يبحث عن المعنى لافتاً في تحليله إلى أنّ "مشاكلهم تعدّ تقنية ونفسية أقل منها فكرية". تنطرح بالتالي مشكلة العلاقة التي تربطنا بالطلاب بكافة أبعادها. فلا شك في وجود مشكلة على صعيد التقنية والتواصل إلى جانب مشكلة تربوية بالمعنى الواسع للكلمة.

تواجه التربية الجامعية مشكلة على صعيد التقنية والتواصل أولاً. إن كانت المحاضرات التي عرفناها في الأزمنة القديمة نواة التعليم الأساسية، فيجب ممارستها بطريقة مختلفة بفضل استخدام تقنيات التواصل الجديدة على هامشها أو في صلبها. ونظراً لوجود برامج مثل برنامج "مودل"، لم تعد هذه هي طريقة التعليم المعتمدة الوحيدة لا سيما في ظل وجود الأعمال الموجهة والفروض الشخصية. يترتب علينا إذاً من الآن فصاعداً أن نتعلم من جديد إدارة طرائق التعبير المختلفة حتى يتم استخدام كافة إمكانيات التواصل. ويسرني أنكم قررتم أن تستثمروا من دون أي تحفظ في هذا الميدان.

ويجب ألا نتوقف عند حدّ هذا البُعد في التربية الجامعية. فلا يرغب طلابنا في التحدث بطريقة ذكية حول عناصر المعرفة التي يجدر بهم اكتسابها بل هم يسعون إلى إيجاد معنى لذلك وإلى أن تأخذ العلاقة مع الجامعة مساراً مختلفاً يقوم على علاقة شخصية وملتزمة. يجب بالتالي تطوير نظام مواكبة الطالب وصقله. ويبدو كافة الأساتذة معنيين بذلك ويجب أن يعيدوا التفكير في علاقاتهم مع طلابهم وتحويلها إلى علاقات "أكثر إنسانية".

جميعنا يعلم أن التعليم في الجامعة لا يمكن أن يكون تكراراً عقيماً للتعبير المعلّبة. فيعتبر
الدرس ثمرة أبحاثنا وكل ما هو جديد إلا أنّ التعليم في الجامعة يعدّ إرثاً ثميناً ينتقل إلى سائر
الفاعلين في المجتمع. إنه لأمر مهمّ ومثير للاهتمام. عسى أن تتمكنوا إلى جانب زملائكم من إدراك
هذه المهمّة الأساسية. فهذا ما يهّم في التربية الجامعية.